# المـهــدويّـة
## من " القائـم " إلى " المـهـدي "

الشيخ د. جعفـر المهاجــر

( ١ )

إن المهدويّة والمهدي هي من العقائد الأساسيّة والأصيلة في الإسلام الخاتم للرسالات . به تتحقّق الغاية النهائيّة للخلق والرسالات .

أمّا غاية الخلق فقد بيّنها المولى سبحانه في قوله تعالى : " وإذ قال ربك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فها مَن يُفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نُسبّح بحمدك ونُقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقُل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تُبدون وما كنتم تكتمون " ( البقرة : ٣٠ ـ ٣٣ ) .

وإمّـا الغاية من الرسالات فقد بيّنها في قوله : " لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط " ( الحديد : ٢٥ ) .

الإنسان هو مصبّ الكلام في هذه الآيات . ومع ذلك فإن القارئ المُتعجّل لا يمكن أن يكتشف تكاملهما إلا إذا لجأ إلى منهج التدبّر . الذي يرمي إلى اكتشاف المعنى القرآني حيث هو ، وغالباً ما يكون موزّعاً على عدّة موارد . الآيات الأولى تتحدّث عن الإنسان بوصفه المتمتّع وحده ، حتى بالذسبة للملائكة ، بالنطق . والنطق هو جماع القابليّات المُذهلة للعقل البشري . ولذلك فإنه وحده حمل الأمانة . أي أن يقوم بالقسط . وفي هذا السبيل أرسل الله سبحانه الرُسُل وأنزل الكتب والشرائع .

إن أصالة المهدويّة هي من أصالة هذا الهدف . بحيث يبدو للمتامّل أن إرسال الرسُل وإنزال الشرائع والكتب هو مُقدّمة وتهيئة للحظة التي ينتهي فيها التاريخ ، وتمتلئ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجورا . لأن المهدويّة قائمة على رؤية واقعيّة للسعي البشري نحو الأفضل . حيث ستظلّ عوامل الانحراف فاعلة ، وستظلّ عيوب البشر كامنة في النفوس ، وسيظل طلب السلطة والثروة والعلوّ حافزاً أساسيّا في سلوك الناس . والمُعطّل الأبعد تأثيراً في الطريق إلى نظام علاقات بشريّة قائم على القسط . حيث تتوازن الحقوق والواجبات كما تتوازن كفتا القسطاس ، أي الميزان . هذه الإشكاليّة الإنسانيّة المُزمنة ستُحل في معركة أخيرة ، ينتصر فيها الحق على الباطل والخير على الشرّ .

( ٢ )

أبين الأدلّــة علـى أصـالة الفكـرة فـي النظـام العقيـدي الإسـلامي ، أنـك تجـد نصوصـها الأصليّة في التراث الحديثي المقبول والمعمول به لـدى كافة المذاهب الإسلاميّة دون استثناء . وقد اعتنى علماء الحديث بجمع الأحاديث الواردة عن النبي ( ص ) بأمر المهدي تأليفاً وشرحاً . من ذلك :

١ ــ أبو بكر بن خيثمة الطرابلسي . من أوائل مَن اعتنوا بجمع أحاديث الباب . وقد أشار ابن خلدون في أوائل المقدمة التي وضعها لتاريخه إلى ذلك .

٢ ــ الحافظ أبو نعيم . جمع في ذلك جزءاً من أربعين حديثاً. وهذان المجموعان مفقودان.

٣ ــ جلال الدين السيوطي . جمع جزءاً سمّاه ( العرف الوردي في أخبار المهدي ) . طُبع ضمن كتابه ( الحاوي للفتاوي ) . لخّص فيه الأربعين حديثاً التي جمعها أبو نعيم . وزاد عليها أحاديث كثيرة جداً .

٤ ــ الحافظ عماد الدين ابن كثير . أفرد في ذكر المهدي جزءاً .

٥ ــ ابن حجر المكّي . له كتاب سمّاه ( القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ).

٦ ــ علي المتقي ، صاحب ( كنز العمّال ) . له رسالة في شأن المهدي .

٧ ــ الملاّ علي القاري . له ( المشرب الوردي في مذهب المهدي )

٨ ــ مرعي بن يوسف الحنبلي . له مؤلف كبير سمّاه ( فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر ) .

٩ ــ محمد بن علي الشوكاني . له ( التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجّال والمسيح ) .

١٠ ــ محمد بن إسماعيل الصنعاني . جمع الأحاديث القاضية بخروج المهدي ، وأنه من آل محمد ( ص ) ، وأنه يظهر في آخر الزمان .

١١ ــ الشيخ عبد المحسن العبّاد . له ( عقيدة أهل الأثر في المهدي المنتظر ) . وهو آخر مَن نعرفهم ممّن ألّف في هذا الباب .

وما من شك أن هذه المصنفات ليست إلا جزءاً يسيراً ممّا وضعه علماء ومُحدّثو أهل السنّة في المهدي . والاستيفاء عسير . وفيه أكثر من الكفاية على ما قلناه .

( ٣ )

هذا وقد قضى كثيرون منهم بتواتر الأخبار عن رسول الله ( ص ) بذكر المهدي ، وأنه من أهل بيته ) ع ) . منهم :

١ ــ محمد بن الحسين السجزي ، صاحب كتاب ( مناقب الشافعي ) .

٢ ــ محمد البرزنجي . قال في كتابه ( الإشاعة لأشراط الساعة ) : " ... واعلم أن الأحاديث الواردة فيه [ أي في الإمام المهدي ] على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر .... والذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة أنه من ولد فاطمة ، وأنه من عترة رسول الله بلغت حدّ التواتر المعنوي ... يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجورا " .

٣ ــ الشيخ محمد السفاريني . قال في كتابه ( لوامع الأنوار البهيّة ) : " وقد كثرت بخروجه [ يعني المهدي ] الروايات حتى بلغت حدّ التواتر المعنوي . وشاع ذلك بين علماء السنّة حتى عُدّ من معتقداتهم " .

٤ ــ القاضي محمد بن علي الشوكاني . قال في كتابه ( التوضيح ) الذي سبقت الإشارة إليه : " والأحاديث الواردة في المهدي ، التي أمكن الوقوف عليها خمسون حديثاً ... وهي متواترة دون شك ولا شُبهة . بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المُحرّرة في الأصول . وأمّا الآثار عن الصحابة المُصرّحة بالمهدي فهي كثيرة جداً لها حكم الرفع . إذ لا مجال للإجتهاد في ذلك " .

٥ ــ الشيخ صدّيق حسن القنوجي . قال في كتابه ( الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة ) : " والأحاديث الواردة في المهدي ، على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حدّ التواتر المعنوي . وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد " .

٦ ــ الشيخ محمد بن جعفر الكتاني . قال في كتابه ( نظم المتناثر من الحديث المتواتر ) : " والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة " .

٧ ــ الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . قال في تعقيبه على كتاب ( عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر ) ، وقد ذكرناه قبل قليل : " ... فأمر المهدي أمر معلوم ، والأحاديث فيه مُستفيضة بل متواترة متعاضدة .

( ٤ )

أبعد من ذلك كلّه :

إن الاعتقاد بالمهدي وخروجه ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، كان دائماً من الاعتقادات الشعبيّة ، المنتشرة بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وأقطارهم . وقد جرى استغلال هذه العقيدة سياسيّاً من قِبل الكثيرين من رجال السلطة ، رامين من ذلك إلى كسب ولاء الناس ، بالزعم أنه هو الذي سيُحقّق آمالهم المنتظَرة في بسط العدل .

من ذلك :

١ ــ الوليد بن يزيد الأموي . الحادي عشر من الخلفاء الأمويين . منح نفسه لقب ( المهدي ) . وبنى على زعمه أنه هو الموعود .

٢ ــ محمد بن المنصور العباسي . الثالث من الخلفاء العباسيين . تلقّب أيضا بـ ( المهدي) للغرض نفسه .

والسلسلة طويلة . كان آخرها الحركة المهدويّة الشهيرة في " السودان " .

( ٥ )

هذا كلّه في إطار عقيدة أهل السنّة .

في الإطار الشيعي الإمامي ، كانت العقيدة الأكثر ذكراً ، حتى حصول غيبة الإمام الأخير ( عجّل الله تعالى فرجه ) هي ( القائم ) ، ( قائمنا ) ، ( قائم آل محمد ) . وهو مصطلَح غني ، ذو مضمون نهضوي . يتضمّن إشارة واضحة إلى بدء العمل السياسي المباشر . بعد فترة طويلة من العمل غير المباشر ، الرامي إلى الإعداد والتحضير التنظيمي والتعليمي وما يتصل بهما .

نُشير في ختام هذه المتابعة التي لم تقف إلا على المحطات الأساسيّة ، إلى أنه بعد حصول الغيبة التقى المصطلحان : ( القائم ) و ( المهدي ) في شخص الإمام الثاني عشر . وشيئاً فشيئاً أخذ مصطلح ( القائم ) يغيب عن اللغة السائدة ، ليحلّ محلّه مصطلح ( المهدي ) . وهذا من أبين الأدلّة على أصالة المبدأ الجامع بين المصطلحين .

---